

مختصر ابن كثير

- 37 - قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا .
- 38 - لكن هو اﷻ ربي ولا أشرك بربي أحدا .
- 39 - ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء اﷻ لا قوة إلا باﷻ إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا .
- 40 - فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا .
- 41 - أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا .
- يقول تعالى مخبرا عما أجابه به صاحبه المؤمن واعطا له وزاجرا عما هو فيه من الكفر باﷻ والاعتزاز : { أكفرت بالذي خلقك من تراب } وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين كما قال تعالى : { كيف تكفرون باﷻ وكنتم أمواتا فأحياكم } الآية أي كيف تجدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية ولهذا قال المؤمن { لكن هو اﷻ ربي } : أي لكن لا أقول بمقالتك بل أعترف باﷻ بالواحدية والربوبية { ولا أشرك بربي أحدا } أي بل هو اﷻ المعبود وحده لا شريك له ثم قال : { ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء اﷻ لا قوة إلا باﷻ إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا } هذا تخصيص وحث على ذلك أي هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت اﷻ على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء اﷻ لا قوة إلا باﷻ ولهذا قال بعض السلف من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل : ما شاء اﷻ لا قوة إلا باﷻ وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة . وقد روي فيه حديث مرفوع عن أنس B قال قال رسول اﷻ صلى اﷻ عليه وسلّم : " ما أنعم اﷻ على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء اﷻ لا قوة إلا باﷻ فيرى فيه آفة دون الموت (أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي) . وكان يتأول هذه الآية : { ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء اﷻ لا قوة إلا باﷻ } وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى أن رسول اﷻ صلى اﷻ عليه وسلّم قال له : " ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا باﷻ " . ؟ .
- وقال أبو هريرة قال لي رسول اﷻ صلى اﷻ عليه وسلّم : " يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش ؟ " قال قلت : فداك أبي وأمي قال : " أن تقول لا قوة إلا باﷻ " . قال أبو بلخ وأحسب أنه قال : " فإن اﷻ يقول أسلم عبدي واستسلم " (أخرجه الإمام أحمد في المسند) . وقوله : { فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك } أي في الدار الآخرة { ويرسل عليها } أي على جنتك في الدنيا التي طننت أنها لا تبيد ولا تفنى { حسبانا من السماء }

قال ابن عباس والضحاك : أي عذابا من السماء والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها ولهذا قال : { فتصبح صعيدا زلقا } أي بلقعا ترابا أملس لا يثبت فيه قدم . وقال ابن عباس : كالجزر الذي لا ينبت شيئا وقوله : { أو يصبح مأوها غورا } أي غائرا في الأرض وهو ضد النابع الذي يطلب وجه الأرض . فالغائر يطلب أسفلها كما قال تعالى : { قل أرأيتم إن أصبح مأؤكم غورا فمن يأتكم بماء معين } أي جار وسائح وقال ههنا : { أو يصبح مأوها غورا فلن تستطيع له طلبا } والغور مصدر . بمعنى غائر وهو أبلغ منه كما قال الشاعر : .
تظل جياده نوحا عليه . . . تقلده أعنتها صفوفا .
بمعنى نائحات عليه